العرش بين العظمة في الاتّساع والعلوّ والحسن الباهر[1] المعنى: ومن هو ربّ العرش العظيم. يعنى الّذي هو سقف المخلوقات، كما جاء في الحديث الّذي رواه أبو داود عن رسول الله ﷺ أنّه قال: شأن الله أعظم من ذلك. إنّ عرشه على سماواته هكذا. وأشار بيده مثل القبّة. وفي الحديث الآخر: ما السّماوات السّبع والأرضون السّبع وما بينهنّ وما فيهنّ في الكرسيّ إلا كحلقة ملقاة بأرضٍ فلاة. وإنّ الكرسيّ بما فيه بالنّسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة[2]

ملكوت كلّ شيء: الملكوت مختصٌّ بملك الله تعالى. وهو مصدر مَلَك، أُدْخِلَت فيه التّاء نحو رَحَمُوت ورَهَبوت[3]

وهو يجير ولا يجار عليه: كانت العرب إذا كان السّيّد فيهم فأجار أحداً لا يُخْفَر في جواره. وليس لمن دونه أن يجير عليه لئلاّ يفتات[4] عليه. ولهذا قال الله: ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ أي وهو السّيّد العظيم الّذي لا أعظم منه، الّذي له الخلق والأمر، ولا معقّب لحكمه، الّذي لا يمانع ولا يخالَف، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[5]

فأنّى تُسْحَرون: أنّى للبحث عن الحال والمكان. ولذلك قيل هو بمعنى أين وكيف لتضمّنه معناهما. قال الله عزّ وجلّ[6]: ﴿أنّى لكِ هذا﴾ أي مِنْ أين وكيف[7] ومن معاني السِّحر الخِداع وتخييلاتٌ لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبِذ

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٣

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٣

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «ملك» ٤٧٣

(٤) افتات عليه، من الفَوْت وهو السّبق إلى الشّيء دون ائتمار من يؤتمر، والاستبداد بالرّأي دون استشارة من ينبغي استشارته. انظر اللّسان: «فوت» و: «فأت»

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٣

(٦) سورة آل عمران ٣٧

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «أنّى» ٢٩

بصرف الأبصار عمّا يفعله لخفّة يد مثلاً(١) المعنى: فمن أيّ وجهٍ يخيّل إليكم الكذب حقّاً، والفاسد صحيحاً، فتُصْرَفون عن الإقرار بالحقّ الّذي يدعوكم إليه رسولنا محمّدٌ ﷺ(٢)

يأمر السّياق النّبي الكريم ﷺ أن يسأل الكافرين المصرّين على الإعراض عن دعوته عليه الصّلاة والسّلام: لمن الأرض الّتي تعيشون فوقها وتحت سمائها، ولِمَنْ من في الأرض ممّن يعقل وما فيها ممّا لا يعقل، ملكاً وخلقاً وعبيداً؟ إن كنتم تعلمون الجواب الصّحيح فأعلنوه. وحينما يكون ثمّة جوابٌ واحدٌ للعقلاء أجمعين فإنّ هؤلاء المسئولين إن كانوا عاقلين سيقولون: إنّ الأرض ومن فيها وما فيها لله تعالى. ولمّا كان إفراد الله تعالى بالعبادة هو الّذي ينبغي أن يترتّب على هذا الجواب الصّحيح لذا فإنّ السّياق يأمر المصطفى ﷺ بأن يحثّ المنحرفين عن سواء السّبيل على أن يتذكّروا ويتّعظوا ويفردوا الله تعالى وحده بالعبادة.

وبعد السّوال المتعلّق بالارض ومن فيها يتحوّل الحديث إلى السّماء ومن فيها. إنّ السّياق يأمر المصطفى ﷺ أن يسأل أولئك المشركين: من ربّ السّماوات السّبع ومن فيهنّ وما فيهنّ، ومن ربّ العرش العظيم الّذي لاشيء أعظم منه؟ ويكون الجواب الّذي لا جواب صحيح سواه من أيّ عاقل وهو أنّ الله سبحانه وتعالى ربّ السّماوات السّبع وربّ العرش العظيم. ويأمر السّياق المصطفى ﷺ أن يحثّهم على تقوى الله تعالى والخوف منه جلّ وعلا بإفراده عزّ وجلّ بالعبادة واتّقاء النّار بالإيمان وعمل الصّالحات.

وبعد السّؤال عن الأرض والسّماء ومن فيهنّ وما فيهنّ يأتي السّؤال عمّن بيده دون سواه ملكوت كلّ شيءٍ وأمره. إنّ السّياق يأمر المصطفى ﷺ أن يسأل أولئك المشركين الّذين اعترفوا بأنّ الله تعالى مالك السّماوات والأرض سؤالاً ثالثاً وهو: من الّذي بيده مِلْك كلّ شيء في هذا الكون، ومن هو السّيّد المطاع فيه

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «سحر» ٢٢٦

(٢) تفسير الطّبري ١٨/ ٣٨

الّذي ما شاءه كان والّذي لم يشأه لم يكن. إنّكم إن كنتم تعلمون الجواب الصّحيح الّذي لا جواب سواه فأعلنوه. وهذا الجواب الصّحيح الّذي يقوله عقلاء المشركين هو الّذي يقوله كلّ عاقل. إنّ لله تعالى وحده لا شريك له ملْك السّماوات والأرض، وله وحده دون سواه الأمر، تماماً كما أنّ له وحده جلّ وعلا دون سواه الخلق. أما وقد اعترف المشركون بأنّ لله تعالى الأمر فإنّ على المصطفى ﷺ أن يسأل المشركين المصرّين على الإنكار وعلى الخروج عن الصّراط المستقيم: كيف تعطّلون القوى الّتي خصّكم الله تعالى بها من عقلٍ وبصيرةٍ وما إليهما، وكيف تسمحون لقوىً شرّيرة خفيّة أن تذهب بكم في كلّ جهةٍ سوى جهة الحقّ والطّريق المستقيم! إنّ نعم الله تعالى ينبغي أن تسخّر للخير لا للشّرّ، للإيمان لا للكفر، لعمل الصّالحات الّتي تهدي إلى جنّات النّعيم، وليس لعملِ السّيّئات الّتي تهوى بمرتكبها في نار الجحيم. إنّ من السّيّئات تعطيل نعم الله تعالى والاستسلام لقوى شرّيرة خفيّة تصرف عن الحقّ إلى الباطل.

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

بل أتيناهم بالحقّ: اليقين، وهو الدّين الّذي ابتعث الله به نبيّه ﷺ، وذلك الإسلام ولا يعبد شيءٌ سوى الله، لأنّه لا إله غيره(١)

بل الحقيقة أنّ الحقّ جلّ وعلا أتى أولئك المشركين المعاندين بالحقّ الّذي لا حقّ سواه، وذلك بإرسال محمّد ﷺ والإيحاء إليه. وهذا الحقّ هو أنّ الدّين عند الله الإسلام، وأنّه لا معبود بحقّ سوى الله تعالى. وحينما يشرك أهل مكّة ومن شايعهم، وحينما يصرّون على الكفر، فذلك معناه أنّهم يؤثرون الباطل على الحقّ، كما أنّهم كاذبون في ادّعائهم أنّ الملائكة بنات الله تعالى، وفي إشراكهم مع الله تعالى الأصنام وما شاكلها في العبادة، وفي زعمهم أنّها تقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ زُلْفى. إنّ الله تعالى لم يتّخذ ولداً، لا من الملائكة ولا من غيرهم. وإنّ الله سبحانه وتعالى ما كان معه من إله، بل هو وحده لا شريك له الّذي خلق كلّ شيء، وبيده ملكوت كلّ شيء. إنّ الله سبحانه وتعالى لو كان له شريكٌ في الخلق لكان له جلّ وعلا شريكٌ في المُلْك والأمر، ولذهب كلّ إلهٍ بما خلق، ولاضطرب

(١) تفسير الطّبري ١٨/ ٣٨

الكون واختلّ نظامه، ولعلا بعض الآلهة على بعض، وكان لكلّ إلهٍ من الأمر والنّهي والتّدبير، بمقدار ما له من الخَلْق والملك والتّقدير.

ولمّا كان هذا الكون يخضع لنظامٍ بديع فذلك معناه أنّ ثمّة إلهاً واحداً دون سواه هو الّذي له وحده جلّ وعلا الخلق والتّدبير والأمر. وتجاه إصرار المشركين على كفرهم وشركهم ينبغي في المقابل تنزيه الله تعالى عن كلّ ما ألصقه الظّالمون به عزّ وجل ممّا لا يليق به جلّ وعلا وذلك بقول: ﴿سبحان الله﴾ والمعنى: تنزيهاً لله تعالى. وإنّ أهمّ ما ينبغي تنزيه الله تعالى منه الشّرك الّذي تورّط فيه أولئك الكاذبون.

ويلاحظ أنّ جملة: ﴿يصفون﴾ في هذا الموضع من الآية الكريمة وفي كلّ موضعٍ مماثلٍ في القرآن الكريم بمعنى: يكذبون. وأيّ كذبٍ أبشع من الزّعم بأنّ لله تعالى شريكا. وهذا المعنى بيّنه مِثْلُ قول الحقّ جلّ وعلا في سورة النّحل(١): ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكَذبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا على الله الكذب. إنّ الّذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ ومِثْلُ قول الحقّ جلّ وعلا(٢): ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحُسْنى. لا جرم أنّ لهم النّارَ وأنّهم مُفْرَطون﴾ والمعنى: حقّاً أنّ لهم النّار يوم القيامة وأنّهم متروكون في النّار منسيّون فيها لأنّهم نسوا يوم القيامة.

وكما يتنزّه الله تعالى عن كلّ ما ألحقه به المشركون الكاذبون ممّا لا يليق به عزّ وجلّ، يتعالى الله تعالى عالم الغيب والشّهادة عمّا يشرك به المشركون في العبادة من آلهةٍ مزعومة.

---

(١) سورة النّحل ١١٦

(٢) سورة النّحل ٦٢

(٨)
(إنذارٌ للكافرين بالعذاب الأليم، وتبشيرٌ للمؤمنين بالنّعيم المقيم)
الآيات (٩٣ ـ ١١٨)

قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

قل ربّ إمّا ترينّى ما يوعدون: قل يا محمّد ربّ إن ترينى في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك(١)

ادفع بالّتي هي أحسن: ادفع يامحمّد بالخلّة الّتي هي أحسن(٢) والخصلة(٣) وذلك الإغضاء والصّفح عن جهلة المشركين والصّبر على أذاهم(٤)

السّيّئة: أذى المشركين إيّاه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله(٥)

نحن أعلم بما يصفون: نحن أعلم بما يصفون الله به وينحلونه من الأكاذيب والفرية عليه، وبما يقولون فيك من السّوء. ونحن مجازوهم على جميع ذلك(٦)

(١) تفسير الطّبري ١٨/ ٣٩

(٢) تفسير الطّبري ١٨/ ٣٩

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٤ والجلالين

(٤) تفسير الطّبري ١٨/ ٣٩

(٥) تفسير الطّبري ١٨/ ٣٩

(٦) تفسير الطّبري ١٨/ ٣٩

أعوذ بك: أستجير بك(١)

من همزات الشّياطين: الهمزات جمع هَمْز(٢) والهمز: الغمز(٣) والنّزغ(٤) والعصر، يقال: همزت الشّيء في كفّي عصرته(٥) والهمز الخنق(٦)

وأعوذ بك ربّ أن يحضرون: وقل أستجير بك ربّ أن يحضرون في أموري(٧) والنّون في: ﴿يحضرون﴾ هي للوقاية، والياء المحذوفة مفعولٌ به (٨)

يأمر السّياق المصطفى ﷺ الّذي يكابد عنت المشركين بأن يدعو ربّه عزّ وجلّ قائلاً: يا ربّ، إن تريني في حياتي ما وعدت به المشركين في الدّنيا من عذاب أليم، وخزي عظيم، فلا تجعلني يا ربّي في القوم الظّالمين الّذين شملهم العذاب. وإنّا على أن نريك يا محمّد في حياتك ما نعدهم من العذاب والخزي لقادرون. وإلى أن يأتي أمرنا فيهم، وحكمنا عليهم، والإذن بقتالهم، ادفع يامحمّد بالصّفة الّتي أحسن، والخصلة الّتي هي أجمل، سيّئة القوم لنا بالإشراك بنا، والتّكذيب يا محمّد لك، وأنت رسولنا، وإلحاق الأذى بك، وأنت تهدى إلى الصّراط المستقيم بأمرنا. نحن أعلم بما يصفون الله تعالى به من أكاذيب، ويختلقونه من افتراءات.

وكذلك يأمر السّياق المصطفى ﷺ بأن يستعيذ بالله السّميع العليم، من همزات الشّياطين، وبأن يستجير بالله تعالى العظيم من غمز الشّياطين وإهاجتهم على الشّرور والآثام، وبأن يستعيذ ويستجير بالله تعالى العظيم أن يحضر الشّياطين، لأنّهم لا يحضرون إلاّ لسوء، ولا يأتون إلاّ لباطل، والعياذ بالله تعالى.

---

(١) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٠

(٢) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٠

(٣) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٠

(٤) الجلالين

(٥) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: «همز» ٥٤٦

(٦) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٠

(٧) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٠

(٨) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩/ ١٩٠

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾
أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾

قال ربّ ارجعون: الضّمير الفاعل في: ﴿ارجعون﴾ للتّعظيم، والنّون للوقاية، والياء المحذوفة مفعولٌ به(١) والمعنى: ربّ ارجعون إلى الدّنيا فردّوني إليها(٢) فصار إلى خطاب الجماعة لأنّ مسألة القوم الرّدّ إلى الدّنيا إنّما كانت منهم للملائكة الّذين يقبضون روحهم(٣)

كلاّ: ليس الأمر على ما قال هذا المشرك، لن يرجع إلى الدّنيا ولن يعاد إليها(٤)

---

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩/ ١٩١

(٢) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٠

(٣) انظر تفسير الطّبري ١٨/ ٤٠

(٤) تفسير الطّبري ١٨/ ٤١

ومن ورائهم برزخ: ومن أمامهم حاجزٌ يحجز بينهم وبين الرّجوع إلى يوم يبعثون من قبورهم وذلك يوم القيامة. والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى(١) وقيل البرزخ ما بين الموت إلى القيامة(٢)

فإذا نفخ في الصّور: قيل عني بذلك النّفخة الثّانية(٣)

فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون: لا يسأل أحدٌ يومئذٍ بنسبٍ شيئاً ولا يتساءلون ولا يَمُتُّ إليه برحم(٤)

فمن ثقلت موازينه: موازين حسناته وخفّت موازين سيّئاته(٥)

ومن خفّت موازينه: ومن خفّت موازين حسناته فرجحت بها موازين سيّئاته(٦)

خسروا أنفسهم: غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله(٧)

تلفح وجوههم النّار: تسفع وجوههم النّار(٨)

كالحون: عن ابن عبّاس عابسون(٩) والكلوح أن تتقلّص الشّفتان عن الأسنان حتّى تبدو الأسنان(١٠)

حتّى إذا جاءت علامات الموت أحد أولئك المشركين وحضرت أسبابه قال ياربّ اؤمر ملائكة العذاب والموت أن يرجعوني إلى الحياة الدّنيا كي أعمل صالحاً بدلاً من السّيّئات الّتي أتيت فيما تركت ورائي من أيّامٍ وليال. ويُرْدَعُ المشرك

---

(١) انظر تفسير الطّبري ١٨/ ٤١

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «برزخ» ٤٣ وانظر تفسير الطّبري ١٨/ ٤١

(٣) انظر تفسير الطّبري ١٨/ ٤٢

(٤) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٢

(٥) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٣

(٦) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٣

(٧) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٣

(٨) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٣

(٩) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٣

(١٠) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٣

المكذّب ويُزْجَر بعنف ويقال له: ليس الأمـر كما تمنّيت أيّها المشرك المكذّب. وهذا الّذي جرى على لسانه لـيس سوى كلمة عابرة كان ينبغي عليـه أن يقولها، وأمنيّة حالة كان يلزمه أن يتفوّه بها، دون أن يكـون للكلمة أو الأمنيّة رصيدٌ مِنْ واقعٍ أو حقّ.

ويوجَد أمام هذا الميّـت حياة برزخيّة في القبر من الموت إلـى البعث. وإنّما عُبّر عن الأمـام بالوراء لأنّ هذه الحياة الـبرزخيّة مجهولـة التّفاصيل لـكلّ إنسان. وكأنّ من يحياها وتتكشّف له بمثابة من يمـشي إلى الوراء ويرتدّ على عقبيه فيرى ما يمرّ به.

فإذا نَفَخَ إسرافيل بإذن الله تعالى في البوق الـنّفخة الثّانية الّتي يحيا بإذن الله تعالى الخلائق بسببها للبعث والحساب والجزاء، فلا أنساب بينهم يوم القيامة تنفع، ولا قرابات تشفع، فإنّ لكلّ امرىء شأناً يشغله بنفسه عن غيره، والسّؤالِ عن حاله ومآله.

فمن ثـقلت موازينـه بالحسنـات في مقابل الـسّيّئات فأولـئك هم المفـلحون الفائزون بـدخول جنّات النّعيـم المقيم. ومن خفّت مـوازينه بالحسنات فـي مقابل السّيّـئات الثّقـال فأولئك الّـذين خسروا أنـفسهم وظـلموها بـدخول نار الجحـيم وخلودهم فيها. وفي جهنّم تحرق وجوهَهُم النّارُ ويكونون عابسين ويقال لهم: ألم تكن آيات الكـتاب العزيز من الله تعالـى تُتْلَى عليكم فـي الحياة الدّنيا فكنـتم بها وبرسولي إليكم تكذّبون، وعن عبادتي تستكبرون!

قَالُوا
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾

قالوا ربّنا غلبت علينا شقوتنا: ما سبق لنا في سابق علمك وخطّ لنا في أمّ الكتاب(١)

قال أولئك الكافرون وهم في سواء الجحيم يا ربّنا لقد غلبت علينا شقاوتنا وحقّ علينا ما كُتب لنا في سابق علمك وخطّ لنا في اللّوح المحفوظ وكنّا قوماً ضالّين عن سواء السّبيل. ياربّنا أخرجنا من نار الجحيم وأعدنا إلى الحياة الدّنيا كي نعمل صالحاً غير السّيّء الّذي نهينا عنه. فإن عُدْنا إلى عمل ما نهينا عنه من سيّئات فإنّا ظالمون نستحقّ أسوأ أنواع العذاب.

---

(١) تفسير الطّبري ١٨/ ٤١

قَالَ اخْسَـُٔوا۟ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

قال اخسئوا فيها: اقعدوا في النّار، يقال منه خَسَأْتُ فلاناً أخسؤه خَسْأً وخُسُوءاً. وخسِأ هو يَخْسأ. وما كان خاسئاً (١) وابعدوا في النّار أذلاّء(٢)

أنّهم هم الفائزون: لأنّهم هم الفائزون(٣) أو هو مفعولٌ ثانٍ لجزيتهم(٤)

قال الحقّ جلّ وعلا لأولئك الكافرين المعاندين الّذين سألوا الله تعالى الخروج من النّار والعودة إلى الحياة الدّنيا كي يعملوا صالحاً: ابعدوا في نار جهنّم أذلاّء مطرودين من رحمتي ولا تكلّموني مطلقاً دليلاً على غضبي عليكم. إنّه كان فريقٌ من عبادي المؤمنين ودعاتي الصّالحين يقولون في الحياة الدّنيا: ياربّنا إنّنا آمنّا بك وبكتابك وبرسولك فاغفر لنا ذنوبنا، واشملنا برحمتك الّتي وسعت كلّ شيء، وأنت يا ربّنا خير من يرحم ويغفر.

إنّكم أيّها الكافرون المعاندون قد اتّخذتم عبادي أولئك مجال سخريتكم وميدان استهزائكم إلى الحدّ الّذي نسيتم معه ذكري بتوحيدي وإخلاص العبادة لي

---

(١) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٥ وانظر لسان العرب: «خسأ»

(٢) الجلالين

(٣) انظر تفسير الطّبري ١٨/ ٤٨ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩/ ١٩٧

(٤) انظر الجلالين وتفسير الطّبري ١٨/ ٤٨

وكنتم من عبادي تضحكون، وبهم تستهزئون. إنّي جزيتهم اليوم جنّات النّعيم بسبب صبرهم على أيذائكم لهم ابتغاء مرضاتي ولأنّهم هم الفائزون في الحياة الأولى بالصّراط المستقيم، وفي الحياة الآخرة بجنّات النّعيم. وقد يكون المعنى: إنّى جزيتهم اليوم بما صبروا الفوز بالجنّة(١)

(١) تفسير الطّبري ١٨/ ٤٨ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩/ ١٩٧

قَٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

فاسأل العادّين: الملائكة الّذين يحفظون أعمال بنى آدم ويُحْصون عليهم ساعاتهم(١)

قال إن لبثتم إلاّ قليلاً: قال الله لهم: ما لبثتم في الأرض إلاّ قليلاً يسيراً(٢)

عبثا: لعباً وباطلا(٣)

لا برهان له به: لا حجّة له بما يقول ويعمل من ذلك ولا بيّنة(٤)

في يوم القيامة يسأل عالم الغيب والشّهادة بواسطة الملائكة الكرام، الكافرين المعاندين المستهزئين على سبيل التّأنيب والتّقريع والاستهزاء: كم عدد السّنين الّتي قضيتموها في الحياة الدّنيا وأنتم المكلّفون المعطّلون نعم الله تعالى عليكم؟ وبسبب شدّة العذاب الّتي يقاسون وهول الموقف الّذي يعيشون نسوا مدّة لبثهم فقالوا لبثنا

(١) انظر تفسير الطّبري ١٨/ ٤٩

(٢) تفسير الطّبري ١٨/ ٥٠

(٣) تفسير الطّبري ١٨/ ٥٠

(٤) تفسير الطّبري ١٨/ ٥٠

في الحياة الدّنيا يوماً أو بعض يوم، فاسأل ياربنّا الملائكة الّذين عدّوا أيّامنا، وأحصوا أنفاسنا، وكتبوا أقوالنا وأعمالنا. قال الحقّ جلّ وعلا لهم: ما لبثتم في الحياة الدّنيا إلاّ وقتاً قليلاً، وزمناً يسيراً، وذلك بالقياس إلى خلودكم في النّار وبئس القرار. إنّكم لو استثمرتم ذلك الوقت القليل لصالحكم فآمنتم وعملتم صالحاً لنلتم الثّواب الجزيل والنّعيم المقيم ولكنّكم كذّبتم واستهزأتم واستكبرتم.

ويخاطب الحقّ جلّ وعلا كلّ النّاس ويسألهم أجمعين: أفحسبتم وظننتم أنّما خلقناكم عبثاً وباطلاً وأنّكم إلينا لا تُرْجَعون، فلا حكمة من الخلق ولا هدف، لا سبب ولا غاية! ويردّ السّياق على أولئك المكذّبين العابثين على جهة الخصوص، ويُعَظِّمُ الله تعالى الّذي لا إله إلاّ هو الملكَ الحقَّ ربَّ العرش الكريم، وينزّهه عن كلّ نقصٍ ألحقه به الظّالمون، ومن ذلك قولهم بلسان الحال إن لم يكن بلسان المقال: ﴿إن هي إلاّ حياتنا الدّنيا وما نحن بمبعوثين﴾(١)

إنّ الّذي يَعْبُدُ مع الله تعالى الحقّ إلهاً آخر باطلاً، لا برهان له بعبادته مطلقاً، ولا حجّة له على دعوته أبداً، فإنّما حسابه على شركه عند ربّه عزّ وجلّ حينما يلقاه جلّ وعلا يوم القيامة. إنّه لا يفلح الكافرون ولا يفوزون في الآخرة.

وفي ختام السّورة الكريمة يأمر الحقّ جلّ وعلا المصطفى ﷺ ابتداءً، كلّ مؤمنٍ تبعاً، أن يسأل ربّه جلّ وعلا الّذي ربّاه بنعمه وآلائه ويدعوه بأن يغفر ذنوب المؤمنين ويسترها، وأن يُسْبِغَ رحمته وينشرها كي تشمل عباده عزّ وجل الّذين تابوا واتّبعوا سبيله جلّ وعلا. إنّه تعالى خير من يرحم عبّاده المؤمنين، ويغفر ذنوبهم، ويستر عيوبهم، ويقبل توبتهم. إنّه تعالى وحده لا شريك له الّذي يبدّل سيّئاتهم حسنات، ويجزل لهم المثوبة عليها، لاراذّ لفضله، ولا معقّب لحكمه، تبارك اسمه، وتعالى جَدّه، ولا إله غيره.

---

(١) سورة الأنعام ٢٩

ثانياً
سورة النّور

سُورَةُ النُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ
مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ٣ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ٥ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦
وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَيَدْرَأُ
عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ
٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى
مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟
وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾
قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ
ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ
ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟
إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا
تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ
الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن
فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ
يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن
يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ
وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ
يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل
لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى
شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ
وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ
أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

بين يدي التّفسير

(١)
(من فرائض السّورة حدُّ الزّانيين غير المتزوّجين وحدُّ القذف، وكيفيّةُ لعان الزّوجين)
الآيات (١ ـ ١٠)

سورة النّور المدنيّة أنزلها الله تعالى وفرض فيها مجموعةً من الأحكام وأنزل فيها حججاً واضحة لعلنّا نتّعظ ونعتبر. ومِنْ هذه الأحكام حدّ الزّانيين الحرّين غير المتزوّجين. إنّ على الحاكم المسلم أن يجلد كلّ واحد منهما مائة جلدة، وعلى المسلمين عموماً ألاّ تأخذهم بالزّانيين رأفةٌ وفرط شفقةً تحول بينهم وبين إقامة الحدّ عليهما إن كانوا يؤمنون بالله تعالى حقّاً وباليوم الآخر. وليحضر عذاب الزّانيين حينما ينفّذ فيهما حكم الله تعالى جماعةٌ من المؤمنين، واحدٌ فما فوق، من أجل أخذ العظة والعبرة.

ويقرّر السّياق أنّ الزّاني لا يطأ إلاّ زانيةً من أهل القبلة أو مشركةً تشرك مع الله تعالى غيره في العبادة، وأنّ الزّانية لا يطؤها إلاّ زانٍ من أهل القبلة أو مشركٌ يشرك مع الله تعالى غيره في العبادة. وحرّم الله تعالى الزّنا على المؤمنين الّذين يؤمنون بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّدٍ ﷺ رسولاً، وبالقرآن الكريم منهجاً. ويلاحظ أنّ السّياق يسوّى في الحقارة بين الشّرك وبين ارتكاب جريمة الزّنا دليلاً على قبحه وكونه فاحشةً وساء سبيلا.

وكما يحرّم دين الإسلام الزّنا ويعاقب عليه يحرّم سائر الفواحش ويعاقب عليها. ومن هذه الفواحش قذف المحصنات. إنّ السّياق يضع في طريق إثبات الزّنا الكثير من الضّوابط والعراقيل في طريق القاذف بحيث إنّ القاذف لا يقدم على

عمليّة القذف إلاّ وهو على علمٍ بالضّوابط أو العوائق الّتي عليه أن يتخطّاها وإلاّ كان قاذفاً يستحقّ أن يجلد ثمانين جلدةً وألاّ تقبل له شهادةٌ أبداً لأنّه فاسق، إلاّ إذا تاب وعمل صالحاً فإنّ الله تعالى غفورٌ لمن استغفر، رحيمٌ بمن تاب وأناب.

وفي سبيل تبيين الضّوابط أو العوائق والعراقيل في طريق القذف، صيانةً للأعراض، وحرصاً على سلامة المجتمع المسلم من الإشاعات المغرضة المزعجة كان ثّمة مقارنةٌ بين ما جاء في شأن القاذف من ضوابط لإثبات عمليّة القذف في الآية الكريمة الرّابعة في قول الحق جلّ وعلا: ﴿والّذين يرمون المحصنات ثمّ يأتوا بأربعة شهداء﴾ وبين ما جاء في شأن الزّوج حينما يتّهم زوجته بالزّنا في الآية الكريمة السّادسة في قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿والّذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلاّ أنفسهم﴾.

إنّ الزّوج حينما كانت أوضاعه خاصّةً وحسّاسةً وربّما آثر الاتّجاه إلى الحاكم مباشرة حرصاً على السّرّيّة فإنّ الشّارع الحكيم لا يكلّف الزّوج شططاً ولا يلزمه بالشّهود الأربعة الّذين يحلّ محلّهم أن يشهد أربع شهادات بالله تعالى. إنّه بقصد عدم تكليف الزّوج شططاً أو إحراجه يجيء في حقّه القول الهيّن اللّين: ﴿والّذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلاّ أنفسهم﴾ قارن بين بهذا القول اللّين في حقّ الأزواج وبين هذا القول ذى الضّوابط المتعدّدة في حقّ غير الأزواج. قال تعالى: ﴿والّذين يرمون المحصنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء﴾.

إنّ كلاً من الزّوج والقاذف يشتركان في عمليّة الرّمي: ﴿والّذين يرمون﴾ بباعث إصابة الهدف وهو إثبات عمليّة الزّنا. إنّ عمليّة الرّمي الّتي تشير إلى المجهود الّذي يبذله كلٌّ من الزّوج والقاذف غير عمليّة إصابة الهدف. فما أكثر من رمى في المحسوسات والمعنويّات، وما أكثر من أخطأ الهدف وما أقلّ من أصابه. لقد عرفنا بشأن الزّوج أن تحلّ كلّ شهادةٍ منه محلّ الشّاهد الواحد. وليس الأمر كذلك بشأن غير الزّوج حينما يقذف.

إنّ مسافة الرّمي بين الزّوج وغير الزّوج مختلفة. إنّ مسافة الزّوج أقصر.

وإنّ مسافة غير الزّوج أطول. على الرغم من الاشتراك في عمليّة الرّمي.

وأوّل ما يصادفنا في مجال المقارنة بين الأسلوبين بَعْدَ عمليّة الرّمي أنّ الرّميّات مع غير الأزواج يوصفن بأنّهن المحصنات العفيفات الطّاهرات الأذيال: ﴿والّذين يرمون المحصنات﴾ ولا يمكن سلب المحصنات أثواب العفاف والطّهر بسهولة، بل بصعوبة وشقّ الأنفس.

وهنا يصادفنا حرف العطف: «ثمّ» الّذي يدلّ في المحسوسات على التّرتيب مع التّراخي. فعلى سبيل المثال. إذا دخل زيدٌ وعَمْرٌ معاً قلنا: دخل زيدٌ وعمرو. فإذا دخل زيدٌ وبُعده مباشرةً عَمْرو، قلنا: دخل زيدٌ فعمرو. وبذلك أفادت الفاء التّرتيب مع التّعقيب. فإذا دخل زيد وبعده بوقت طويل أو قصير دخل عَمْرو، قلنا: دخل زيدٌ ثمّ عمرو. وبذلك أفادت: «ثمّ» التّرتيب مع التّراخي. وإنّ ما أفادته: «ثمّ» من بعدٍ في المحسوسات تفيده كذلك في المعنويّات أحياناً. إنّ الآية الكريمة الأولى من سورة الأنعام ـ مثلاً ـ حينما أرادت أن تنبّه إلى البعد بين السّبب والمسبَّب، وإلى النّتيجة غير المعقولة وغير المنطقيّة الّتي ترتّبت على المقدّمة، جاء فيها حرف العطف: «ثمّ» منبّهاً على هذا النّوع من البعد المعنوي غير المنطقي وغير المعقول والمقبول بين المقدّمة والنّتيجة. قال عزّ من قائل: ﴿الحمد لله الّذي خلق السّماوات والأرضَ وجعل الظّلمات والنّور. ثمّ الّذين كفروا بربّهم يَعْدِلون﴾ إنّه رغم كلّ آيات الله تعالى البيّنات يشرك الكافرون مع الله تعالى غيره في العبادة. ما أبعد الشّقّة بين المقدّمة والنّتيجة، وهو بعدٌ معنويّ. وهذا البعد المعنويّ هو الّذي شمّ رائحته في القول: ﴿والّذين يرمون المحصنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء﴾

والحقيقة أنّ حرف العطف: «ثمّ» هنا الّذي يومىء إلى بُعْدٍ معنويّ على نحو ما تبيّن يوطّىء لبعدٍ آخر مؤكَّد تفيده جملة: ﴿لم يأتوا﴾ إنّ جملةَ: «أتى» تقترن في القرآن الكريم عادة بالجملة الأخرى صنوها: «جاء» وقد تأكّد أنّ كلّ المواطن في القرآن الكريم الّتي اقترنت فيها الجملتان أفادت جملة: «أتى» البعد الزّمانيّ أو المكانيّ أو المعنويّ النّفسي، وأفادت جملة: «جاء» القرب الزّمانيّ أو المكانيّ أو

المعنويّ النّفسيّ. وإنّ جملة: ﴿لم يأتوا﴾ هنا تفيد ذلك البعد. ويصحّ أن يقال في هذا البعد إنّه بعدٌ حسّيٌّ ومعنويّ، أو إنّه بعدٌ مكانيٌّ ونفسيّ. ما أبعد الشّهود الأربعة حسّاً في العادة، وما أشقّ على النّفس تحقّق أمنيّتها في وجود الشّهداء الأربعة كي يقيموا الشّهادة ويؤدّوها على وجهها.

ثمّ إنّ عدد الّذين يدلون بالشّهادة في هذه المسألة الحسّاسة والقضيّة الخطيرة أربعة.

ثمّ إنّ هؤلاء الّذين يدلون بالشّهادة يوصفون بأنّهم الشّهداء جمع شهيد. والشّهيد هو الّذي أحاط بكلّ دقائق المسألة الّتي يدلى في حقّها بالشّهادة، والأمين في أدائها.

إنّ القاذف إذا لم يحقّق كلّ هذه الضّوابط يجلد حدّ القذف ثمانين جلدة، ولا تقبل له شهادةٌ أبداً، ويوصف بالفسق، أي بالخروج عن الصّراط المستقيم، إلاّ إذا تاب وعمل صالحاً. ويلاحظ أنّ السّياق يجيء فيه القول: ﴿إلاّ الّذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ دون الإشارة إلى الإيمان ممّا هو دليلٌ على أنّ القاذف يظلّ دائماً وأبداً مؤمنا.

وبشأن الّذين يرمون زوجاتهم بالزّنا هم مطالبون كذلك بأربعة شهداء. وحينما لا يكون عندهم شهداء إلاّ أنفسهم فيلزم الواحد منهم أن يشهد أربع شهادات بالله تعالى العظيم إنّه لمن الصّادقين. ويلاحظ أنّ كلّ شهادة تقوم مقام شهيد. وفي المرّة الخامسة يشهد ويعلن أنّ لعنة الله تعالى عليه إن كان من الكاذبين. وبإدلائه الشهادات الخمس يثبت الحدّ، وهو الرّجم في حقّها. فإن أصرّت على الإنكار يدفع عنها الحدّ أن تشهد أربع شهادات بالله تعالى العظيم إنّه لمن الكاذبين. وفي المرّة الخامسة تشهد وتعلن أنّ غضب الله تعالى عليها إن كان من الصّادقين. وإذا كانت اللّعنة في حقّ الزّوج إن كان كاذباً تعنى الطّرد من رحمة الله تعالى، فإنّ الغضب من الله تعالى في حقّ الزّوجة إن كان الزوج صادقاً يعني اللعنة وزيادة الغضب من الله تعالى.

وهذا هو اللّعان. والمعروف أنّ أحد الزّوجين كاذب. وبالتّالي فإنّ أحد الزّوجين يبوء باللّعنة أو بالغضب من الله تعالى والعياذ بالله.

ويلاحظ أنّ الغضب من الله تعالى الّذي تبوء به الزّوجة أسوأ من اللّعنة الّتي يبوء بها الزّوج في حال الكذب. وإنّ زيادة السّوء المفهوم من غضب الله تعالى يتمشّى مع تقديم لفظ الزّانية على الزّاني في الآية الكريمة الثّانية من السّورة الكريمة. قال تعالى: ﴿الزّانية والزّاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة﴾ وهذا وذاك من الأدلّة على أنّ مسئوليّة المرأة أكبر من مسئوليّة الرّجل في مجال الطّهر والعفاف والفضيلة.

إنّه لولا فضل الله تعالى علينا ورحمته بنا لفضحنا على رءوس الأشهاد ولكنّه عزّ وجلّ التّوّاب الحكيم هو السّتّار الغفّار.

(٢)
(دروسٌ من حادثة الإفك)
الآيات (١١ ـ ٢٠)

نزلت الآيات العشر الكريمات في حادثة الإفك جملةً واحدة، بعدما خاض الآثمون فيه وهلكوا بسبب ما ألحقوا من أذىً بالمصطفى ﷺ وأمّ المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها. لقد برّأ الحقّ جلّ وعلا السّيّدة عائشة رضي الله تعالى عنها في آيات كريمات بيّنات، ونال كلّ آثمٍ جزاءه. والآيات الكريمات العشر في حادثة الإفك كلّها دروسٌ وعبر. وقد أخذت تلك الدّروس والعبر صوراً مختلفة. إنّ الآية الكريمة الأولى تقرّر أنّ الّذين جاءوا فعلاً بالإفك وبأكبر الكذب في حقّ أمّ المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها جماعةٌ محدودة العدد بحمد الله تعالى في بحر المؤمنين الزّاخر. وتنهي الآية الكريمة المؤمنين أن يظنّوا حادثة الإفك شراً لهم بل هو خيرٌ لهم، لأنّ العصبة الّتي جاءت بالإفك، لكلّ امرئٍ منهم جزاء ما اكتسب من الإثم. أمّا الّذي تولّى معظم ذلك الذّنب، وهو كبير المنافقين، عبدالله

ابن أبيّ ابن سلول، فإنّ له عذاباً عظيماً.

والآية الكريمة الثّانية ترشد المؤمنين إلى وجوب إحسان الظّنّ بإخوانهم المسلمين وأخواتهم المسلمات الّذين تنالهم الشّائعات. وفي تعبير الآية الكريمة عن الآخرين بلفظة الأنفس دليلٌ على أنّ منزلة المسلم لدى المسلم ينبغي أن تكون بمنزلة نفسه. وكما يدفع الإنسان الأذى عن نفسه على المسلم أن يدفع الأذى عن أخيه وأخته المسلمين. إن الآية الكريمة تقول للمسلمين والمسلمات هلاّ حين سمعوا تلك الإشاعة السيّئة ظنّوا بإخوانهم في الإسلام وأخواتهم خيراً وقالوا علَناً وعلى رءوس الأشهاد: ﴿هذا إفكٌ مبين﴾ وكذبٌ عظيمٌ وبهتانٌ كبير.

وهكذا تتبيّن مسئوليّة الأمّة المسلمة تجاه التّجاوزات الّتي يتورّط فيها بعض الأفراد والجماعات. إنّ موقف الأمّة ينبغي أن يكون إيجابيّاً برفض كلّ تجاوزٍ. إن لم يكن بالفعل فبالقول.

وتتحوّل الآية الكريمة الثّالثة إلى العصبة الّتي جاءت بالإفك وألقت القول على عواهنه(١) هلاّ جاءت تلك العصبة على إفكها بأربعة شهداء محيطين بجوانب المسألة، أمينين في أداء الشّهادة بارتكاب جريمة الزّنا، فإذ لم يأتوا بالشّهداء الأربعة فأولئك في حكم الله تعالى هم الكاذبون. وسبق أن وُصِف القاذفون بالفسق وبرفض شهادتهم مستقبلاً إلاّ إذا تابوا وعملوا صالحاً.

وهكذا ثبت حدّ القذف في حقّ العصبة الّذين جاءوا بالإفك، إضافةً إلى صفتي الكذب والفسق.

والآية الكريمة الرّابعة تقرّر فضل الله تعالى على الخائضين في الإفك ورحمته بهم في الدّنيا بعدم تعجيل العذاب لهم، وفي الآخرة بقبول توبتهم. إنّه لولا فضل الله تعالى عليهم ورحمته لمسّهم فيما خاضوا فيه من باطل عذابٌ عظيمٌ في الأولى قبل الآخرة.

وحينما تبدأ مجموعةٌ من الآيات الكريمات بالقول: ﴿لولا﴾ وهو بمعنى:

---

(١) العواهن جرائد النّخل إذا يبست جمع عاهنة. وألقى الكلام على عواهنه لم يتدبّره. لسان: «عهن»

«هلاّ» بشأن المؤمنين عامّة، عصبة الإفك خاصّة، فذلك دليلٌ على أنّ المسئولية شَرِكةٌ بين الجميع، فعلى الأمّة أن تعمل بكلّ الوسائل على منع الفساد في الأرض ووأد كلّ فتنةٍ في مهدها قبل أن تستفحل، وإلاّ كان العذاب شاملاً والعقاب صارماً.

والآية الكريمة الخامسة تقرّر أنّ إفاضة الحديث الّذي استحقّوا عليه العذاب العظيم كان حينما تقاذفت ألسنتهم الإفك، ولاكت أفواههم البهتان الّذي ليس لهم به علم، وحينما حسبوا كلّ ذلك شيّئاً هيّناً يسيراً، وهو عند الله تعالى إثمٌ عظيم، يستحقّ صاحبه العذاب الأليم.

وترشد الآية الكريمة السّادسة إلى ردّ الفعل الصّحيح حينما يسمع المؤمنون تلك الشّائعات بأن يقولوا بملء أفواههم: ما ينبغي لنا ولا يليق بنا أن نتكلّم بهذا الهراء. تنزيهاً لك يا ربّنا وبراءةً إليك ممّا يقول الظّالمون. إنّ هذا بهتانٌ عظيم وكذبٌ كبير.

والآية الكريمة السّابعة تتّجه إلى القلوب بقصد ترقيقها وتقول للخائضين في الإفك والمتساهلين فيه: إنّ الله تعالى يعظكم ويحذّركم أن تعودوا لمثله أبداً مستقبلاً إن كنتم مؤمنين بالله تعالى حقّاً، وبدين الإسلام لله تعالى ربّ العالمين.

والآية الكريمة الثّامنة تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى يبيّن لنا الآيات البيّنات والحجج الواضحات كي نهتدي بهديها. والله سبحانه وتعالى عليمٌ لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء، حكيمٌ في أقواله وأفعاله وأحكامه وقَدَرِه وفي كلّ شيء.

والآية الكريمة التّاسعة تنذر الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا في كلّ زمانٍ ومكانٍ بأنّ لهم عذاباً أليماً في الدّنيا والآخرة. ومن عذاب الدّنيا حدّ القذف وحدّ الزّنا وما إليهما. إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم كلّ شيء، وإنّا لا نعلم إلاّ شيئاً عَلَّمنَا الله تعالى إيّاه.

والآية الكريمة العاشرة والأخيرة تقرّر فضل الله تعالى علينا ورحمته جلّ

وعلا ورأفته بنا. إنّه لولا فضل الله تعالى ورحمته ورأفته لعاجلنا بالعقوبة ولمسّنا في الأولى قبل الآخرة عذابٌ أليم ولما عرفنا للاستغفار طريقاً ولا للتوبة بابا.

(٣)
(آياتٌ تعقيبيّةٌ على حادثة الإفك)
الآيات (٢١ ـ ٢٦)

في هذه الآيات الكريمة التّعقيبيّة على آيات حادثة الإفك دروسٌ قرآنيّةٌ مجيدة، تعمل على رأب الصّدع، ولمّ الشّمل، وإعادة المياه إلى مجاريها. وأوّل ما يلاحظ بشأن الآية الكريمة الأولى أنّها تبدأ بنداء الّذين آمنوا. وهذا النّداء يشمل المؤمنين جميعاً، وفيهم الّذين تورّطوا في حادثة الإفك. وذلك دليلٌ على أنّ من تورّط في جريمة القذف يظلّ مؤمناً. والآية الكريمة تنهي المؤمنين عموماً، الّذين تورّطوا في حادثة الإفك خصوصاً، عن أن يتّبعوا خطوات الشّيطان الرّجيم ويسلكوا مسالكه. إنّ الشّيطان إنّما يأمر أتباعه بكلّ أمرٍ شنيع القبح والفحش، وبكلّ ما ينكره الشّرع والعقل والعُرْف. إنّه لولا فضل الله تعالى علينا نحن المسلمين جميعاً، ما تطهّر منّا أحدٌ من دنس الشّرك والذّنوب، ولكنّ الله سبحانه وتعالى يطهّر من يشاء، بقبول استغفاره وتوبته. والله تعالى سميعٌ لكلّ قول، عليمٌ بكلّ نيّةٍ وفعلٍ مجازٍ على الخير والشّرّ.

ولمّا كان الشّيطان الرّجيم لا يأمر إلاّ بالفحشاء والمنكر الّلذين يترتّب عليهما تفرّقُ الجماعة، فإنّ ربّ العزّة والجلال ينسخ ما يُلقي الشّيطان الرّجيم بين المسلمين من فُرْقة، فتنهي الآية الكريمة الثّانية أولى الفضل والسّعة في الرّزق عن أن يُقْسِموا بالله تعالى العظيم ألاّ يعطوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله تعالى شيئاً ممّا كانوا يعطونهم فمنعوهم إيّاه بسبب أذاهم وذلك على غرار الأذى الّذي لحق أبا بكر رضي الله تعالى عنه من اتّهام مِسْطح، ابن خالته، للسّيّدة عائشة رضي الله تعالى عنها في حادثة الإفك. إنّ على من حلف ألاّ يبرّ من آذاه أن يكفّر

عن يمينه ويفعل الخير. بل إنّ المطلوب من فاعل البرّ أن يتجاوز تكفير اليمين وفعل البرّ إلى العفو بمعنى ترك المؤاخذة على الذّنب، بل أن يتجاوز مجرّد ترك المؤاخذة إلى الصّفح بالإقبال على من آذاه بوجهٍ هاشٍّ باشّ، وترك مجرّد العتاب ابتغاء رضا الله تعالى، وطمعاً في مغفرته ورحمته. إنّ الآية الكريمة تغرى العباد بحب مغفرة الله تعالى في أسلوب الاستفهام: ﴿ألا تحبّون أن يغفر الله لكم﴾ ومَنْ منّا الّذي لم يذنب، ومَنّ منّا الّذي لا يحبّ أن يغفر الله تعالى ذنبه؟ لا أحد. ولا يقف جزاء الله تعالى وثوابه عند غفران الذّنب بمعنى سَتْره إنّما يكون التّجاوز إلى رحمة الله تعالى الّتي وسعت كلّ شيءٍ وحيّ.

ويلاحظ في الآية الكريمة التّدرّج في حقّ العباد من العفو إلى الصّفح. كما يلاحظ التّدرّج في حقّ ربّ العباد من المغفرة إلى الرّحمة. إنّ الصّفح عفوٌ وزيادة. وإنّ الرّحمة مغفرةٌ وزيادة. وإنّ أبا بكر رضي الله تعالى عنه فعل كلّ ذلك وتجاوز إلى مرحلة الإحسان حينما أقسم بالله تعالى العظيم ألاّ يَنْزِع النّفقة من مِسْطح أبداً. ما أعظم هذه الأخلاق وأكرم صاحبها الّذي يترك مجرّد العتاب بالصّفح إثر العفو.

وينال الخائضون في الإفك حظّهم الموفور من التّقريع والتّهديد. ويلحق بهم كلّ من رمى المحصنات باقتراف جريمة الزّنا. إنّ الّذين يرمون بالزّنا العفيفات، الغافلات الّلاتي لم يخطر ببالهنّ الخنا فضلاً عن ارتكابه، المؤمنات بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ، لعنهم الله تعالى وطردهم من رحمته في الدّنيا والآخرة ولهم يوم القيامة عذابٌ عظيمٌ في النّار، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون في الدّنيا من منكراتٍ ينكرون يوم القيامة إتيانها. في ذلك اليوم المهيب يوفّيهم الله تعالى حسابهم الّذي يستحقّونه من خيرٍ أو شرّ، ويعلمون أنّ الله تعالى هو الحقّ، وأنّه المبين للحقّ المظهر له.

ولمّا كان الإناء ينضح بما فيه، فإنّ السّياق يقرّر أنّ الكلمات الخبيثات للخبيثين من الرّجال والخبيثات من النّساء، كالخائضين في الإفك والخائضات، وأنّ الكلمات

الطّيّبات للطّيّبين من الرّجال والطّيّبات من النّساء، كالّذين تورّعوا عن الخوض في الإفك. إنّ الطّيّبين والطّيّبات مبرّءون من سيّء قول الخبيثين والخبيثات. إنّ للطّيّبين والطّيّبات مغفرةً من الله تعالى الغفّار للذّنوب، ورزقاً كريماً في جنّات النّعيم.

(٤)
(دروسٌ قرآنيّةٌ في الطّهر والعفاف)
الآيات (٢٧ ـ ٣٤)

آيات هذا القسم الكريمات دروسٌ قرآنيّةٌ في الطّهر والعفاف، تهدف إلى إيصاد كلّ المنافذ الّتي يمكن أن يتسلّل منها ما يخدش الحياء ويفضي إلى الفجور. إنّ للبيوت حُرُمات، وواجبُ كلّ مؤمنٍ أن يرعى حرمة أخيه المؤمن ويَحرِص عليها. وأوّل الدّروس يتعلّق بالاستئذان. إنّ السّياق ينهى الذّين آمنوا عن أن يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتّى يستأنسوا ويسلّموا على أهلها. والاستئذان يحصل عليه القاصد بعد حصول الأُنْس، بمعنى الطّمأنينة، للمقصودين. وقد بيّن النّبيّ ﷺ كيفيّة الاستئذان: السّلام عليكم أأدخل؟ ويقف المستأذن عن يمين الباب أو عن يساره وليس أمامه صوناً للحرمات، ولا يستأذن أكثر من ثلاث مرّات بل على المستأذن أن ينصرف. إنّ الاستئذان خيرٌ لنا لعلّنا نتذكّر ونتّعظ بآي الذّكر الحكيم ونتعاون على صون الحرمات. فإن لم نجد في تلك البيوت أحداً يأذن لنا بالدّخول، علينا ألاّ ندخل حتى يؤذن لنا. وإن قيل لنا ارجعوا، علينا أن نرجع حتّى يأتي من يملك الإذن، وعلينا ألاّ نقف عند الباب. إنّ الرّجوع أزكى لنفوسنا وأطهر لقلوبنا. والله سبحانه وتعالى عليمٌ بما نعمل فلا يخفى عليه جلّ وعلا شيءٌ في الأرض ولا في السّماء.

وبشأن البيوت والأماكن غير المسكونة والّتي فيها متاعٌ لنا، قد سُمِح لنا بالانتفاع به، أو هو يخصّنا، فليس علينا جناحٌ ولا إثمٌ أن ندخل تلك البيوت والأماكن دون استئذان، شريطة أن تكون النيّة صادقةً، والغاية شريفة. إنّ الله

سبحانه وتعالى يعلم ما نظهر من قولٍ وعمل، وما نكتم من نيّةٍ وقولٍ وعمل.

ولمّا كان الغرض من الاستئذان منع النّظر من الوقوع على حرام، وكان الاستئذان صارفاً خارجيّاً للبصر عن النّظر إلى حرام، كان ذلك موطّئاً لأمر المؤمنين والمؤمنات أن يغضّوا من أبصارهم ويصرفوها عن النّظر إلى الحرام، وأمرٌ لهم بأن يحفظوا فروجهم عن الفواحش ويصونوها من الحرام. وإنّما تقدّم الأمر بغضّ البصر لأنّ عدم غضّه هو المترتّب عليه عدم حفظ الفرج لا سمح الله. إنّ المؤمنين مأمورون بأن يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. إنّ ذلك أطهر لهم. والله سبحانه وتعالى خبيرٌ بما يصنعون، لا يخفى عليه جلّ وعلا بواطن الأمور الّتي يجتهد الخلق في تزويقها كي تظهر، بحسب النّيّة، على حقيقتها أو على غير حقيقتها. إنّه عزّ وجلّ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصّدور.

وإنّ المؤمنات مأموراتٌ بأن يغضضن من أبصارهنّ عمّا حرّم الله تعالى، ويحفظن فروجهنّ عن الفواحش، ومنهيّاتٌ عن إبداء زينتهنّ لغير المحارم إلاّ ما ظهر منها، والزّينة الظّاهرة في رأي فريقٍ من العلماء الثّياب، وفي رأي فريقٍ آخر الوجه والكفّان. وعليهنّ أن يلقين ما يغطّين به رءوسهنّ على صدورهنّ ونحورهنّ بحيث لا يبدو الجيب من الفستان أو الثّوب، وهو المكان المقطوع الّذي يَدْخُلُ الرّأسُ منه. والجيب من الَجوْب بمعنى القَطْع. وعليهنّ ألاّ يبدين زينتهنّ الباطنة إلاّ لمن يحلّ لهنّ أن يبدينها لهم. وقد رتّبت الآية الكريمة أفراد هذه الفئة مقدّمةً الأَوْلَى فالّذي يليه. إنّ أفراد هذه الفئة هم الأزواج، والآباء، وآباء الأزواج، والأبناء، وأبناء الأزواج، والإخوان، وإبناء الإخوان، وأبناء الأخوات، والنساء المؤمنات ومن في حكمهنّ من الشّريفات العفيفات، وما ملكت أيمانهنّ، والتّابعون غير أصحاب الحاجة للنّساء والاشتهاء لهنّ، والأطفال الّذين لم يطّلعوا لصغرهنّ على عورات النّساء ولم يجامعوهنّ. وعلى المؤمنات ألاّ يضربن بأرجلهنّ الأرض ليُعْلَمَ ما يخفين من زينتهنّ التي في أرجلهنّ. وإنّ علينا جميعاً أن نتوب إلى الله تعالى توبةً نصوحا.

ولمّا كان ربّ العزّة والجلال قد جعل الزّوجة سكناً لزوجها، والزّوج سكناً لزوجته فإنّ السّياق يأمر أولى الأمر بأن يزوّجوا من لا زوج له من الجنسين والصّالحين من العبيد والإماء. إنّ الأزواج إن كانوا فقراء فإنّ الله سبحانه وتعالى سوف يغنيهم من واسع فضله فعلى الأولياء أن يسهّلوا أمور الزّواج بكلّ الوسائل المتاحة. إنّ الله سبحانه وتعالى واسعٌ رزقه ورحمته وفضله، عليمٌ لا يخفى عليه شيء.

وإنّ على الّذين لا يجدون مالاً يتزوّجون به، والّذين لا يستطيعون أن يتزوّجوا لأنّ الظّروف غير مواتية، أن يطلبوا العفّة وليحرصوا عليها حتّى يغنيهم الله تعالى من واسع فضله بالزّواج. وبشأن المماليك الّذين يطلبون المكاتبة على مبلغٍ من المال مقابل نيلهم حرّيّتهم يؤمر المؤمنون على سبيل النّدب بأن يكاتبوهم إن علموا فيهم خيراً وقدرةً على كسب المال كيلا يكونوا عالةً على المجتمع. ويؤمر السّادة بأن يعطوهم من مال الله تعالى الّذي أعطاهم الله تعالى إيّاه ما يعينهم على السّداد. وهذا المال يضاف إلى أحد مصارف الزّكاة الثّمانية في فكّ الرّقاب. وهكذا يشرّع دين الإسلام للعتق بحيث لم يبق في ديار الإسلام حالياً مسترقّ واحد.

وبشأن الإماء اللّاتي كنّ يرغمن على الزّنا وشكون للنّبيّ ﷺ وللصّحابة رضوان الله تعالى عليهم ينهى السّياق عن إرغامهنّ على الزّنا، فكيف إذا كان الشّاكيات حريصات على الطّهر والعفاف. إنّ مهر البغي خبيث. وإنّ الله سبحانه وتعالى من بعد إكراه الإماء على الزّنا غفورٌ لهنّ رحيمٌ بهنّ يقبل توبتهنّ.

لقد أنزل الله تعالى في هذا الكتاب آياتٍ كريماتٍ مبيّناتٍ لنا طريق الهدى والرّشاد، وأنزل من القصص والأخبار الّتي توخذ منها العظة والعبرة ما يتزّل الخبر الواحد منها منزلة المثل السّائر الّذي يُسْتمع له ويعتبر به، كما أنزل المواعظ الّتي ينتفع بها المتّقون في المقام الأوّل.

(٥)
(مَثَلٌ نورانيٌّ للمؤمنين، ومثلٌ ناريٌّ للكافرين المبتدعين، ومَثَلٌ مائيٌّ للكافرين المقلّدين)
الآيات (٣٥ ـ ٤٠)

إنّ نصّ آخر آيات القسم السّابق على الآيات المبيّنات والمثل رشّح لاشتمال آيات هذا القسم التّالي على ثلاثة أمثلة نورانيّةٍ وناريّة ومائيّة. والمثل النّورانيّ للمؤمنين المتّقين. وأولى آيات هذا المثل ذات مستويين من الدّلالة، حسّيّ ومعنويّ. ومعنى المثل النّوراني من الوجهة الحسّيّة، على النّحو التّالي، والله تعالى أعلم: الله تعالى منوّر السّماوات والأرض بالشّمس والقمر وسائر النّجوم والكواكب. صفة نوره جلّ وعلا ككوّةٍ غير نافذة في مكانٍ ضيّقٍ مظلمٍ أساسا. في تلك الكوّة غير النّافذة سراجٌ موقدٌ بفتيلٍ وزيت. السّراج في زجاجةٍ شفّافةٍ بطبعها تمنع الهواء أن يعبث بالسّراج، وتتيح للضّوء أن ينفذ خلالها ويقوى وينتشر. الزّجاجة لنقائها وصفائها وبياضها وحسنها كأنّها كوكبٌ سماويّ درّيّ يشبه بهائه وجماله ووضاءته اللّؤلؤة العظيمة والدّرّة الكريمة. وهذا السّراج المشتعل يُوقَدُ من زيت شجرة زيتونٍ مباركة. والمعروف أنّ زيت الزّيتون أجود أنواع الوقود. ولكنّ زيت هذا المصباح من شجرة زيتون فريدة، لذا كان زيتها الأجود على الإطلاق. إنّه زيتٌ مستمدٌّ من شجرة زيتونٍ جيّدة التّربة والموقع. إنّها على رأس جبل أو في وسط الصّحراء، ولذلك هي تستفيد من أشعّة الشّمس إذا أشرقت الشّمس وإذا غربت. إنّها ليست شرقيّةً فقط، وليست غربيّةً فقط، ولكنّها شرقيّةٌ غربيّة، ليست محرومةً من أشعة الشّمس صباحاً ولا مساءً. وكان ثمرة هذه العوامل الخاصّة بشجرة الزّيتون هذه أنّ زيتها يكاد يضيء بذاته ولو لم تمسسه نار. فكيف بهذا الزّيت وقد مسّته النّار، وتحقّقت لسراجه العوامل الفريدة الخاصّة به. وهكذا تحقّق لذلك المصباح نور الزّيت ونور النّار.

وإنّ بقيّة الآيـة الكريمة يومىء إلى المـستوى الآخر المعنويّ مـن الدّلالة. قال تعالى: ﴿يهدى الله لـنوره من يشاء. ويضرب الله الأمثال للـنّاس. والله بكلّ شيء عليم﴾ ومعنى المثـل النّورانيّ من الوجهة المعنويّة، على النّـحو التّالي، والله تعالى أعلم: الله تعالى هـادى من في السّماوات والأرض سبل الرّشاد، وعـاصمهم من حيرة الضّلالة. صفة نور الإيمان الّذي هدى به الخـلق للحقّ بواسطة القرآن الكريم الّذي أنزله علـى قلب المصطفى ﷺ بلسانٍ عـربيّ مبين ككوّةٍ غير نافـذةٍ هي بمثابة صدر المؤمن. وكما تجمع المشكاة في المحسوسات نور المصباح، يجمع صدر المؤمن نور الإيمان. إنّ في صدر المؤمن مصباح القرآن الكريم المضيء الّذي يهدى للطّريقة الّتي هي أقـوم، على غرار ما يفعل الـسّراج في مجال المحسوسـات. وإنّ مصباح القرآن الكريم المضيء في زجاجةٍ هي قلب المؤمن التّقيّ النّقيّ. وكما كانت زجاجة المصباح في الصّفـاء والنّقاء والحسن والبياض كأنّها كـوكبٌ درّيّ، كان قلب المؤمن لخلوّه مـن الشّكوك والـرّيب، ونقائه مـن العيوب والدّنـس، كأنّه ذلك الـكوكب السّماويّ الدّرّيّ الّذي يشبه الدّرّة الأرضيّة الكريمـة، واللّؤلؤة العظيمة، صفاءً ونقاءً وجمالاً ووضاءة. وكما أُوقد المصباح في المحسوسات من زيت شجرةٍ زيتونٍ فريدةٍ في بابها، أنار قلب المـؤمن بتعاليم القرآن الكريم الّذي تبيّـنه سنّة المصطفى ﷺ، وازداد إيمانه باستمداده من الشّـريعة الخالصة الصّافية، والحنيفيّة السّـمحة الّتي ليلها كنهارها. وإذا كان زيت المصباح في المحسوسات يكاد يضيء ولم تمسسه نار فكيف به وقد مسّته، فإنّ آيـات الله تعالى المبثوثة في الكون، والّتـي تدلّ كلّ واحدةٍ منها على الإله الـواحد المعبود بحقٍّ وحده لاشـريك له، تكاد تهدى بذاتـها إلى الإيمان بهذا الإله الواحد المـعبود بحقٍّ وحده لا شريك له. فكيـف إذا كانت تلك الآيات الكونيّة قد بـيّنتها آي الذّكر الحكيم والـكتاب العزيز الّذي لا يأتيه الـباطل من بين يديه ولا من خلفـه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد. إنّ النّـار زادت الزّيت نوراً إلى نوره. وإنّ آي الذّكر الحكيم زادت الآيـات الكونيّة الدّالّة على وحدانيّـة الله تعالى إشراقاً وتوهّجا. وبذلك يكون عندنا على المستويين الحسّيّ والمعنويّ: ﴿نورٌ على نور﴾

إنّ الله سبحانه وتعالى يهدى لنوره مـن يشاء هدايته من عباده. ويضرب الله تعالى للنّاس الأمثال الّـتي يعقلها العالمون منهم، ويستفيدون مـنها، ويتّعظون بها. والله سبحانه وتعالى عليمٌ بكلّ شيءٍ، فلا يخفى عليه جلّ وعلا شيءٌ في الأرض ولا في السّماء.

وأين توجد أنوار الإيمان الّـتي تفيض من القرآن الكريم؟ إنّـها توجد بدرجةٍ أكبر وصورةٍ أوضح فـي بيوتٍ أذن الله تعالى أن ترفع، ومسـاجد أمر عزّ وجلّ أنْ تُبْنى، ويذكر فيـها اسمه جـلّ وعلا في الأذان والإقامـة والصّلاة وتلاوة الـقرآن الكريم صنـوف الذّكر. في تلك الـبيوت يسبّح لله تـعالى فيها بـالغدوّ والآصال، وينزّهه عزّ وجلّ عـن كلّ ما لا يليق به جلّ وعلا في البكـرات والعشيّات رجال، ملء إهابهم الصّلاح والتّقوى. إنّهم لا تلهيهم تجارةٌ يستثمرون فيها رءوس أموالهم أملاً في الرّبح، ولا بيعٌ مضمون الرّبح فوراً، ولا تشغلهم عن ذكر الله تعالى ذكراً كثيراً في كلّ الأوقات والأحوال، عن إقامة الصّـلاة بكامل شروطها، وإيتاء الزّكاة مستحقّيها. إنّهم يخافون يوم القيامة الّذي تتقلّب فيه القلوب بين الخوف والرّجاء، والأبصـار أيؤخذون إلى الجـنّة أم إلى النّـار، أيؤتون كـتب أعمالـهم بأيمانـهم أم بشمائلهم ومـن وراء ظهورهم. إنّهم يسارعون في الخيرات آمـلين أن يجزيهم الله تعالى يوم القيامة أحسن جزاء ما عملوا في الدّنيا، وأن يزيدهم من فضله الواسع. إنّ الله تعالى يرزق من يشاء بغير حسابٍ في الأولى والآخرة.

فإذا تحوّلنا إلى المثل المضروب للكافرين المعاندين تبيّنّا أنّه ذو علاقةٍ على نحوٍ من الأنحاء بالـنّار. إنّ محوره السّراب الّذي يبـدو كالماء في منتصف الـنّهار وبعد الزّوال في الصّحاري القاحلة المتوهّجة. إنّ تلك الحرارة الشّديدة الارتفاع من جنس النّـار ولهذا قيـل إنّنا بـصدد مثلٍ نـاريّ. إنّ الّذين كفـروا أعمالـهم الصّالحـة في اعتقادهم هي كسرابٍ يلوح في الصّحراء بـعد الزّوال يظنّه العطشان ماءً، حتّى إذا جاءه ووصل إلى موضعه لم يجده شيئـاً، فازداد عطشه ولَهَثُه في وقتٍ هو أحوج ما يكون فيه للماء والرّاحة. إنّ الكافر يعـاند ويصدّ عن سبيل الله تعالى ويظنّ أنّه

يُحْسِن صنعاً بينما هو الأخسر عملاً، ويرجو ثواب عمله الّذي أبطله الله تعالى وأحبطه لأنّه لم يرد به وجه ربّه الأعلى، هذا إذا كان العمل صالحاً بمقياس الإسلام فكيف به إذا كان سيّئاً بمقياس الإسلام. إنّ السّائر في الصّحراء ظهراً الشّديد العطش يرى السّراب أمامه فيظنّه ماءً حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً واشتدّ عطشه ولَهَثُه وألمه. وإنّ الكافر قد أحبط الله تعالى عمله، وهو في سفره إلى الله تعالى يظنّ أنّه سيثاب على أعماله. وكما خاب ظنّ السّائر في الصّحراء فازداد عطشه، كذلك خاب ظنّ الكافر الّذي ازداد عطشه في وقتٍ هو أحوج ما يكون لثواب أعماله. إنّ السّائر في الصّحراء لا يجد الماء الّذي يروي عطشه ويدفع ظمأه. وإنّ الكافر لا يجد شيئاً من ثوابٍ على أعماله حينما يموت، بل يجد الله تعالى عنده يوم القيامة فيوفّيه حسابه وعقابه وعذابه. والله سبحانه وتعالى سريع الحساب. وما أقوى الانسجام بين اختفاء آمال كلٍ من المسافر في الصّحراء ظهراً والكافر المسافر إلى الله تعالى دون زاد حقيقيّ من صالح الأعمال، وبين السّراب الّذي يخفي شخوص الأشياء، ويعكس صورها، ويقلب رسومها رأساً على عقب.

ومَثَل أعمال الكافرين المقلّدين كظلماتٍ في بحرٍ بعيدٍ قاعه، واسعٍ مداه، كثيرٍ ماؤه، ويغطّي ذلك البحرَ اللّجيَّ موج، ويغطّي ذلك الموجَ الأوّلَ موجٌ آخر، ومن فوق ذلك الموج سحابٌ ثقالٌ بالماء. إنّنا بصدد ظلماتٍ بعضها فوق بعض إضافةً إلى ظلمة اللّيل البهيم. إنّ من يخرج يده في تلك الأجواء والظّلمات لا يقارب أن يراها فأنّى له أن يراها على الحقيقة. وإنّ القول في نهاية الآية الكريمة ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ يومىء إلى أنّ لهذا المثل المائيء مستوىً آخر معنوياً من الدّلالة. ويمكن أن يكون معنى المثل معنوياً على النّحو التّالي:

إنّ مثل أعمال أولئك الكافرين الّذي يجادلون في الله تعالى بغير علم والّذين يقلّدون كالببّغاوات رؤساءهم في الكفر كمثل ظلماتٍ مطبقة في قلب ذلك الكافر. وكما هاج البحر اللّجيّ وماج بما فيه من ماءٍ ودابّة وشيء، هاج القلب غير

الموصول بالله تعالى بالشّكوك والرّيب وبسائر الأوصاب والأوجاع.

وكما علا الموج الأوّل بظلماته البحر اللّجّيّ بظلماته، كان من نصيب القلب المنصرف عن الله تعالى، الممتلىء بكلّ الأمراض المعنويّة، أن ختم الله تعالى عليه فحيل بين ذلك القلب وبين أن يتسلّل إليه نور الهداية.

ولمّا كان للإنسان منافذ ثلاثة للعلم والنّور، وهي القلب، وقد ختم الله تعالى عليه، والسّمع والبصر، فإنّ سمع هذا الكافر قد ختم الله تعالى عليه، وإنّ بصره قد جعل الله تعالى عليه غشاوة. إنّ ختم الله تعالى على سمع الكافر فلا يسمع دعوة الحقّ سماع قبول، بمثابة المستوى الثّاني من الموج الّذي عمّق ظلمات البحر اللّجّيّ والمستوى الأوّل من الموج. وإنّ وضع الحقّ جلّ وعلا غشاوةً على بصر الكافر، والمراد بذلك عمى البصيرة والعياذ بالله، فلا يرى نور الهداية ولا يستقبله، بمثابة السّحاب من فوق المستوى الثّاني من الموج، ذلك السّحاب الّذي عمّق ظلمات البحر اللّجّيّ والمستويين من الموج. وإنّ التّذييل ليعمّق معاني المثل، ويقرّر أنّ الّذي لم يجعل الله تعالى له نوراً من عنده جلّ وعلا فما له من نور. إنّ على هؤلاء الكفّار المقلّدين للكافرين من آبائهم وسادتهم فهم يقتدون بهم، إنّ عليهم أن يقلعوا عن اتّباع الضّالّين المضلّين، وأن يتّجهوا إلى المصدر الحقيقيّ للنّور وأن يطلبوه من موضعه. أن يتّجهوا إلى الله تعالى، منوّر السّماوات والأرض بالشّمس والقمر وما إليهما، وهادى الخلائق إليه جلّ وعلا بالإيمان بواسطة القرآن الكريم الّذي أنزله عزّ وجلّ على خير الأنام ﷺ.

(٦)

(يسبّح لله تعالى كلّ المخلوقات، وذكر أصنافٍ من المخلوقات دليل الملك والقدرة)

الآيات (٤١ ـ ٤٦)

من أهمّ ما يميّز المؤمنين الّذين كان من نصيبهم المثل النّورانيّ أنّهم يسبحّون

الله تعالى ويطيعونه عزّ وجلّ في كلّ الأوقات والأحوال. أمّا الكافرون بصنفيهم فإنّهم يشركون مع الله تعالى سواه. وتبدأ أولى آيات هذا القسم التّالي بتقرير حقيقة أنّ كلّ من في السّماوات والأرض يسبحّ الله تعالى، من ملائكةٍ وإنسٍ وجنٍ وحيوانٍ ونباتٍ وجماد. لقد علم كلّ جنسٍ صلاته وتسبيحه، والله تعالى عليمٌ بما يفعلون. وقد نصّ السّياق على تسبيح الطّير وهي من الحيوان الّذي يلى الإنسان رتبةً، تنبيهاً على أنّ ما دون الحيوان من نباتٍ وجمادٍ يسبّح الله تعالى كذلك. وتنبيهاً على قدرة الله تعالى المطلقة في هذا الملكوت يشير السياق إلى أصنافٍ من المخلوقات. إنّ الله سبحانه وتعالى يسوق بلطفٍ سحاباً، ثمّ يؤلّف بين قطعه، ثمّ يجعله متراكماً بعضه فوق بعض، فترى أيّها الإنسان المطر يخرج من خلاله وأثنائه. والله سبحانه وتعالى ينزّل من جبال السّحب في السّماء برداً فيصيب به من يشاء عذاباً، ويصرفه عمّن يشاء رحمة. وبرق ذلك السّحاب يكاد يذهب بالأبصار لشدّته وتتابعه. والله تعالى يقلّب اللّيل والنّهار ويجعل أحدهما يخلف الآخر ويختلف عنه طولاً وقصراً ولوناً. إنّ في ذلك لعبرةً لأولى البصائر النّيرّة. والله تعالى خلق كلّ حيوانٍ يدبّ في الأرض من ماءٍ واحد. ومنهم من يمشي على بطنه كالحيّات، ومن يمشي على رجلين كالإنسان، وعلى أربع كالأنعام. لقد قدّم السّياق الأعجب فالّذي يليه. والله تعالى يخلق ما يشاء. والله تعالى على كلّ شيءٍ قدير. لقد أنزل الله تعالى آياتٍ بيّناتٍ في هذا الكتاب العزيز الّذي يهدي للطّريقة الّتي هي أقوم. وهذا هو هُدى الدّلالة. والله تعالى يهدي إلى صراطه المستقيم، وهو دين الإسلام، من يشاء من عباده. وهذا هو هُدى التّوفيق. وهدى التّوفيق خاصٌ بالله تعالى وحده لا شريك له.

(٧)

(المنافقون والكافرون يعصون الله ورسوله فلهم ذلّ الأولى والآخرة ، والمؤمنون يطيعون الله ورسوله فلهم عزّ الأولى والآخرة)

الآيات (٤٧ ـ ٥٧)

في أثناء نزول سورة النّور المدنيّة كان المؤمنون بقيادة المصطفى ﷺ أقوياء، وفي المقابل كان النّفاق يتّجه إلى الضّعف، والكفر إلى الزّوال. وإنّ آيات هذا القسم تتحدّث عن المؤمنين كثيراً، وكذلك تتحدّث عن المنافقين كثيراً، وتتحدّث قليلاً عن الكافرين. إنّ السّياق يقرّر أنّ المنافقين يقولون آمنّا بالله تعالى وبرسوله ﷺ وأطعنا الله ورسوله ثمّ يتولّى فريقٌ منهم من بعد هذا القول باللّسان وهم معرضون عن أحكام الله تعالى وأحكام رسوله ﷺ. وليس أولئك بالمؤمنين حقّا. وإذا دُعِي ذلك الفريق إلى حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ يُعْرض ويصدّ صدودا. وإن كان الحقّ لأولئك المنافقين أتوا إلى الرّسول ﷺ ليحكم بينهم لعلمهم أنّه سوف يحكم لهم. أفي قلوب المنافقين مرضٌ ملازم، أم شكّوا في دين الله تعالى، أم خافوا أن يظلمهم حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ ويميل إلى خصومهم. إنّ كلاًّ من هذه السّيّئات كفرٌ محض. وإنّ أولئك المنافقين إنّما يظلمون أنفسهم. أمّا المؤمنون فإنّهم حينما يُدْعَوْن إلى حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ يبادرون إلى إعلان السّمع والطّاعة. إنّ الّذين يطيعون الله ورسوله ويخشون الله تعالى باجتناب المعاصي، ويتّقون الله تعالى بفعل الحسنات أولئك هم الفائزون حقّا.

وكما كره المنافقون حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ كرهوا الجهاد في سبيل الله تعالى والخروج مع المصطفى ﷺ لقتال الكفّار. والعجيب في شأن

المنافقين أنّهم يقسمون بالله تعالى العظيم غاية اجتهادهم في الأيمان بأنّ النّبيّ ﷺ لو أمرهم بالخروج إلى الجهاد لفعلوا. ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام بأن يقول لهم لا تقسموا، طاعةٌ معروفةٌ لله تعالى ولرسوله ﷺ بالخروج إلى الجهاد فعلاً خيرٌ لكم من تلك الأيمان غير الصّادقة. إنّ الله تعالى خبيرٌ ببواطن أعمال المنافقين ومن باب أولى ظواهرها. كما يؤمر عليه الصّلاة والسّلام بأن يقول للمنافقين: أطيعوا الله تعالى وأطيعوا الرّسول ﷺ. فإن أعرضوا فإنّما عليه ﷺ ما حُمِّل من أمانة البلاغ المبين، وقد فعل، وعليهم ما حمّلوامن أمانة الطّاعة. إنّهم إن أطاعوه ﷺ اهتدوا، وليس عليه ﷺ إلاّ البلاغ المبين.

وبشأن المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات يعدهم الله تعالى، ووعده الحقّ، بأنّه عزّ وجلّ سيجعلهم الخلفاء في الأرض وأصحاب الكلمة العليا كما فعل عزّ وجلّ بالمؤمنين، وسيمكّن لهم دين الإسلام لله تعالى ربّ العالمين، ذلك الدّين الّذي ارتضاه لهم، وسيبدّلهم من بعد خوفهم أمناً وطمأنينة. إنّ هذا الوعد الحقّ من الله تعالى يعد عزّ وجل به المؤمنين الّذين يفردونه عزّ وجلّ بالعبادة ولا يشركون معه أحداً. وقد تحقّق هذا الوعد للمؤمنين السّابقين وسيتحقّق بإذن الله تعالى للاّحقين حينما تتحقّق فيهم النّعوت المطلوبة. أمّا من كفر بنعمة الله تعالى من المؤمنين بعد ذلك فإنّ أولئك هم الخارجون عن الصّراط المستقيم. إنّ على المسلمين أن يعودوا إلى الصّراط المستقيم وأن يتوبوا إليه جلّ وعلا توبةً نصوحا. وإنّ على المؤمنين أن يقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة ويطيعوا الرّسول ﷺ طاعةً مطلقةً لعلّهم يُرْحمون.

وبشأن الكافرين يخاطبُ السّياق المصطفى ﷺ بشأنهم ويقول له: لا تحسبنّ الّذين كفروا يعجزون الله تعالى إن أراد بهم سوءاً في العاجلة. ثمّ إنّ مأواهم النّار يوم القيامة وبئس المصير.

(٨)
(مِنْ آداب أنواع من الاستئذان)
الآيات (٥٨ـ ٦٤)

من دروس السّورة الكريمة مِنْ قَبْلُ في الطّهر والعفاف ما تعلّق بالاستئذان. وتعود السّورة الكريمة في آخرها إلى تبيين بعض الآداب المتعلّقة بأنواعٍ من الاستئذان. إنّ السّياق يأمر الّذين آمنوا بأن يستأذنهم الّذين ملكت أيمانهم، ذكوراً وإناثاً، كباراً وصغاراً، والّذين لم يبلغوا الحُلُمُ من صغار الأحرار ثلاث مرّات في ثلاثة أوقات يخلون فيها بأنفسهم وأهليهم، وربّما تخفّفوا من ثيابهم، وربّما انكشفت عوراتهم. من قبل صلاة الفجر، وحين يضعون ثيابهم من الظّهيرة وقت القيلولة، ومن بعد صلاة العشاء الآخرة. إنّها ثلاث عوراتٍ لهم. وليس عليهم حرجٌ أن يدخل عليهم ما ملكت أيمانهم وصغار الأحرار في غير الأوقات الثّلاثة دون إذن، وليس على ما ملكت أيمانهم والصّغار حرجٌ كذلك. إنّهم طوّافون على المؤمنين لخدمتهم. وإنّ بعضهم طائفٌ على الآخر لخدمته. كذلك يبيّن الله تعالى لنا الآيات البيّنات. والله عليمٌ بما فيه صلاحنا حكيمٌ في شرعه وتدبيره وكلّ شيء. وإذا بلغ الأطفال الأحرار الحلم فليستأذنوا كما استأذن الأحرار الكبار من قبلهم. كذلك يبيّن الله تعالى لنا آياته والله تعالى عليمٌ حكيمٌ. والقواعد من النّساء عن الولد والحيض اللّاتي لا يرجون نكاحاً ولا يردن زواجاً ولا يرغبن في الرّجال ولا يرغب الرّجال فيهنّ ليس عليهنّ جناحٌ ولا إثم أن يضعن في بيوتهنّ جلابيبهنّ أمام الرّجال المحارم والغرباء شريطة ألاّ يقصدن إبداء الزّينة وفتنة الرّجال. وإذا تعفّفن عن وضع الجلابيب وطرح الأردية فإنّ ذلك خيرٌ لهنّ وأطهر. والله سميعٌ لكلّ قول، عليمٌ بكلّ نيّةٍ وفعل. إنّه ليس على الأعمى والأعرج والمريض وعليكم حرجٌ وضيقٌ أن تأكلوا من بيوتكم، أو بيوت آبائكم، أو بيوت أمّهاتكم، أو بيوت إخوانكم، أو بيوت أخواتكم، أو بيوت أعمامكم، أو بيوت

عمّاتكم، أو بيوت أخوالكم، أو بيوت خالاتكم، أو ما ملكتم مفاتيحه من البيوت، أو صديقكم، ليس عليكم حرجٌ وضيق أن تأكلوا من بيوتكم أو من بيوت هذه الفئات ما داموا راضين وإن لم يكونوا حاضرين. ليس عليكم جناحٌ ولا حرجٌ أن تأكلوا مجتمعين أو متفرّقين. فإذا دخلتم بيوتاً لا أهل بها فسلّموا على أنفسكم تحيّةً من عند الله تعالى مباركةً طيبةً لكثرة ثوابها وعظيم أجرها. كذلك يبيّن الله تعالى لكم الآيات البيّنات لعلّكم تعقلون. إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله ﷺ، وإذا كانوا معه ﷺ على أمرٍ جامعٍ للمؤمنين كصلاةٍ أو مشورةٍ لم ينصرفوا حتّى يستأذنوه عليه الصّلاة والسّلام. إنّ الّذين يستأذنونه عليه الصّلاة والسّلام أولئك الّذين يؤمنون حقّاً بالله ورسوله. فإذا استأذنوك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم لبعض حاجاتهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله تعالى. إنّ الله تعالى غفورٌ رحيم. لا تجعلوا أيّها المؤمنون دعاء الرّسول ﷺ ونداءه كدعاء بعضكم بعضاً وندائه بأن تقولوا يا محمّد يا أبا القاسم ولكن عظّموه ووقّروه وقولوا يا نبيّ الله ويا رسول الله. إنّ الله تعالى يعلم الّذين يتسلّلون منكم أيّها المؤمنون دون استئذان وينسلّون مستتراً بعضهم ببعض فليحذر الّذين يخالفون أمره عليه الصّلاة والسّلام ويُدْبِرون عنه سراً أن تصيبهم مصيبةٌ في دينهم تفضي بهم إلى الكفر لا سمح الله، أو أن يصيبهم عذابٌ أليمٌ من الله تعالى. حقّاً إنّ لله تعالى كلّ ما في السّماوات والأرض، وإنّ الله تعالى يعلم ما عليه النّاس جميعاً، من إيمانٍ أو نفاق، استئذان أو انسلال. ووقت يرجعون إليه يوم القيامة ينبّئهم بما عملوا ويجازيهم. والله تعالى بكلّ شيءٍ عليم.